

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ هَذَا الْكُونُ وَمَا فِيهِ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَوَاتِهِ وَشَمُوسِهِ وَأَقْمَارِهِ
وَكَوَاكِبِهِ وَأَفْلَاكِهِ وَسَائِرِ مَجْرَاتِهِ ، وَمَحِيطَاتِهِ وَأَنْهَارِهِ وَأَشْجَارِهِ
وَنَبَاتَاتِهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ وَإِنْسِهِ وَجَنِّهِ وَدَوَابِهِ وَسَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَجَمِيعِ
مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِمَّا نَعْلَمُهُ وَمَا لَا نَعْلَمُهُ هُوَ مَظْهَرٌ لِإِبْدَاعِ الْخَالِقِ
وَدَلِيلٌ عَلَى قُدْرَتِهِ وَمَجْلَى عَظَمَتِهِ .

ولقد كان عرشه على الماء وكانت السموات والأرض جزءا
واحدا ففتقهما الله القادر وجعل من الماء كل شئ حي وقد
كشف لنا عن هذه الحقيقة في الآية الشريفة حيث يقول جل
وعلا ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ .

والله سبحانه نور السموات والأرض ومن نوره خلق جميع
مخلوقاته وسائر كائناته . وخلق الله الهواء والرياح والحرارة
والرطوبة واليابس والماء ثم خلق الإنسان من صلصال كالفخار
وخلق الجن من مارج من نار وخلق الملائكة من نور ، ثم خلق
الحيوان والدواب والطيور والنبات وغيرها من الارض ، ثم نفخ
الله من روحه القدسية في الإنسان فصار بشرا سويا ، ونفخ من
هذه الروح في الكائنات الأخرى فدبت فيها الحياة ثم جعل
السموات سبعا تسبح فيها الكواكب بأحكام تدير وأحسن تقدير
وجعل الأرضين سبعا كعدد سمواته وجعل اقتراب كل كوكب
من الشمس يكسبه خواص كثيرة يمتاز بها عن غيره في طبيعته
وأحواله فصار منها الكواكب الحارة والباردة والرطبة واليابسة
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ
بَيْنَهُنَّ ﴾ .

والكون مملوء بمخلوقات لا تحصى من جميع الأنواع والأجناس ، قد خلقها الله من أصول وعناصر المكان الذي تقيم فيه بما يلائم طبيعة الحياة فيها ، فخلق مخلوقات الأرض من الأرض ، ومخلوقات الهواء من الهواء ومخلوقات النار من النار ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الكون بأجزائه وجزئياته منغمرا في مواد غريبه ومنصهرا في جزئيات دقيقة من السيلالات الغازية التي تشمل على سر الحياة ولا يدرك كنهها إلا الله الذي لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء . ولا يستطيع الإنسان أن يحيط بكل أسرار هذا الكون وخفائيه أو يلم بدقائقه وأبعاده وكيف يستطيع الإنسان أن يحيط بأبعاد شئ هو جزء ضئيل جدا منه . والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

والنظريات الطبيعية والعلمية وغيرها تثبت أن المادة متحللة ومحدثة وأنها قد وجدت من العدم . وهناك أشياء لا نعرف كنهها ، ولكننا نحسها ونحس اثارها كالكهرباء والمغناطيس والجاذبية والضوء والحرارة وغيرها ومع ذلك نقول بها ونعترف بوجودها ، والله تعالى يقول ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

إن ما غاب عنا من العوالم أكثر مما نعلم لاننا واقفون عند حدود حسنا التي يكفيها سمعنا وبصرنا بحسب طاقتنا المحدودة ولو كان للإنسان طاقة أخرى لشاهد الكون أكثر وأكثر .

ولو تخيلنا ما يقوله علماء الفلك من أن الذي تمتلئ به عيوننا من نجوم السماء إنما هي نجوم مجرتنا وحدها المحيطة بشمسنا وقمرنا وأرضنا ، وأن في الكون من أمثال مجرتنا الكثير غيرها ،

فلو تخيلنا ذلك لتبين لنا أن مجرد تصور هذا الكون الهائل فوق طاقة عقول البشر وخيالاتهم وأن الوصول إلى القمر أو المريخ أو الزهرة وهي بعض كواكب مجرتنا إنما هو ذرة في محيط هائل السعة بعيد الغور .

ويجب على الإنسان أن يعلم أنه مهما تطاول في غزو الفضاء فلن يطوي ما لا نهاية له ، لأن ذلك لا يدركه إلا الله . ولو اتيح للإنسان أن يطوف بنجوم الفلك كلها فلن يستطيع أن يدرك الحقيقة كلها أو يحيط بها علما .

فعلينا أن نحاول بقدر استطاعتنا أن ننظر في الكون أرضه وسمائه بقدر ما أتانا الله من عقل وفكر وبصر وبصيرة . ولقد حثنا القرآن الكريم على ذلك في آيات كثيرة ، منها : ﴿ قُلِ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ و ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ و ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى السير في مناكب الأرض ، والنظر في أفاق السماء لاستظهار عظمة الكون وخالقه ، واستكشاف بديع صنع الله ومحكم نظامه للاستدلال على عظمة المبدع وقدرة الخالق العظيم الذي لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء ، سبحانه له الحمد في الأولى والأخره وله الحكم وإليه ترجعون .

فما أسعد من اعتبر بالنظر ، واتعظ بالتأمل والفكر ، ووصل إلى الحقيقة بالتبصر في ملكوت الله ، وانتهى إلى معرفته سبحانه فازداد يقينا وإيمانا بالخالق البارئ المصور والصانع الحكيم المدير . وما أشقى هؤلاء الذين غرهم العلم وأعمتهم

الاختراعات فغزوا الفضاء وجابوا أفاق السماء ووصلوا إلى القمر واكتشفوا الكواكب ووقفوا على آيات الله الباهرة وقدرته الفائقة ، ثم عميت قلوبهم عن نوره ، وانطمست بصائرهم عن ظهوره ، فلم يهتدوا إليه ولم يؤمنوا به وإنما وقف به الغرور عند تأليه الألة . ومن وقف عند ذلك فقد هداية الروح ورشاد العقيدة ونور الإيمان وانساق وراء جموح النفس وانحرف الشهوات وفساد العقيدة وربما جر ذلك العلم المادي الخراب على العالم ، والدمار للبشرية فكان سلاح تدمير لا تعمير .

فيا أيها الإنسان المتجه إلى الكواكب ، والمخلق في الفضاء ومخترع وسائل الابداه والفناء ، ماذا بعد ؟ وإلى أين ؟

أن العلم سلاح ذو حدين : أحدهما للخير والآخر للشر فطوبى لمن استعمل حد الخير وويل لمن اغتر بحد الشر ، فيجر على

الكون الدمار والخراب . قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ .

والكون وما فيه من موجودات يؤكد أن الله أكبر من كل المخلوقات وأعظم من جميع الكائنات فهو أكبر من كل شئ وأجل من أن يقاس بشئ ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .